

يؤسس لمكانــة اقتصاديــة دوليــة لــ"إسرائيل".. كيـف تعرقــل غــزة المــر الهندي؟

كتبه أحمد سيف النصر | 16 ديسمبر ,2023



خلال أعمال قمة مجموعة العشرين بالعاصمة الهندية نيودلهي في 10 سبتمبر/أيلول 2023، أعلن كل من الرئيس الأمريكي جو بايدن، ورئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي، ورئيسة الموضية الأوروبية أورسولا فون دير لاين، وولي العهد السعودي عجد بن سلمان، ورئيس الإمارات عجد بن زايد، إلى جانب العديد من القادة الأوروبيين، إنشاء المر الاقتصادي بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا، وهو مكوّن من مسارين: الأول يربط الهند بالخليج، والثاني يربط الخليج بأوروبا، وتكون "إسرائيل" حلقة الوصل بين المسارين.

شراكة اعتبرها جميع المساركين تاريخية رغم أن دوافعهم مختلفة، ثم بعد التوقيع على المشروع الذي حظي بمباركة الولايات المتحدة، خرج الجميع بتوقعات مثالية وآمال كبيرة ومسابقة للأحداث، وبدا بايدن وكأنه الأكثر فرحًا بهذا المشروع الذي وصفه بـ"صفقة حقيقية كبيرة ستغير من قواعد اللعبة". كذلك وصفت "أورسولا فون دير لاين" المشروع بأنه "الأكثر طموحًا لجيلنا وجسرًا يجمع بين القارات والحضارات".



على صعيد آخر، لم يخفِ "بنيامين نتنياهو" سعادته واعتبر أن مشروع المر الجديد بمثابة إنجاز تاريخي لـ"إسرائيل" وسيحولها إلى ملتقى مركزي للاقتصاد العللي، خاصة وأنه يريد الحفاظ على الوضع الراهن فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية وتقليص أي مكاسب قد يحصل عليها الفلسطينيون، لذا رأى أن المر الجديد سيحقق له أهدافه.

-خطاب نتنياهو بالأمم التحدة يُشيد بسعادة بالغة بمشروع المر الهندي-

لكن نتنياهو لم يكن الوحيد الذي ضخّم المشروع، ففي دول الخليج العربي، احتفل النظامان السعودي والإماراتي بالمر واعتقدوا أنه سيعظم من نفوذهما الجيوسياسي، ووصفه "خالد الفالح" وزير الاستثمار السعودي بأنه "يُعادل طريقي الحرير والتوابل". كما بدأت المفاوضات بشأن التطبيع السعودي الإسرائيلي تكتسب زخمًا على أثر هذه المشروع.

في حين أن رئيس الوزراء الهندي اعتبر المر الجديد بمثابة علامة تاريخية فارقة، ووسيلة لواجهة مبادرة الحزام والطريق التي عارضتها الهند مرارًا وتكرًار، وأبدت خشيتها مما أسمته استراتيجية "عقد اللؤلؤ الصيني"، في إشارة إلى الموانئ التي بنتها الصين ضمن مبادرة الحزام والطريق من أجل تضييق الخناق على الهند في الجنوب.

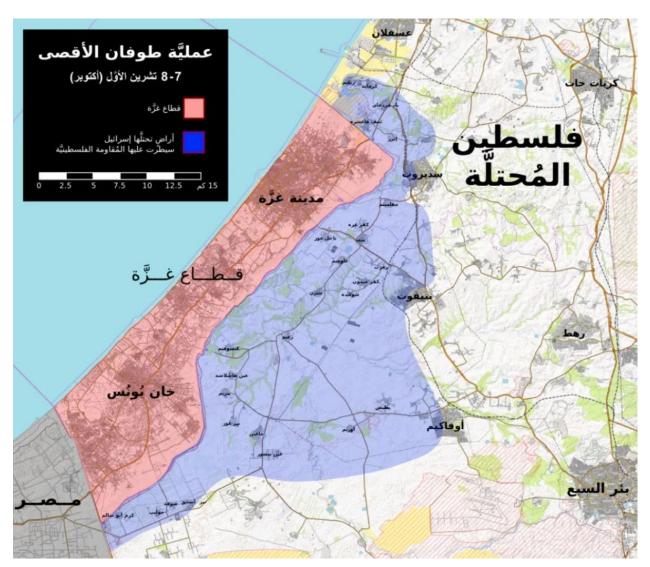


مودي وبايدن وبن سلمان يمسكون أيديهم قبل بدء جلسة قمة مجموعة العشرين في نيودلهي في 9 سبتمبر 2023. (إيفلين هوكستين – فرانس بريس)

وبينما كان المؤولون الأمريكان والأوروبيون منهمكين بإعداد وثائق الرحلة النهائية لتنفيذ مشروع



"المر الاقتصادي بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا" وفق الجدول الزمني، تمهيدًا لاجتماع الشركاء في نوفمبر 2023 للإعلان عن خطة العمل النهائية، والبدء بالتنفيذ الفعلي على أرض الواقع خلال هذه الأيام، إذ بعملية طوفان الأقصى في 7 أكتوبر تقلب الطاولة على الجميع وتقوّض كل تلك الآمال.



يبدو أن النشوة كانت سابقة لأوانها، فوسط الإفراط في التوقعات والمبالغات، تسببت غزة في إيقاف مشروع المر وتأجيل كل الاجتماعات، كما أصبح الرأي العام العربي ملتهبًا بسبب الحرب التي تشنها "إسرائيل" على غزة، واضطرت بعض الدول العربية المشاركة في المر إلى تأجيل محادثات التطبيع مع "إسرائيل".

فرغم أن الرياض تريد تطبيع العلاقات مع الاحتلال، ولكنها تشعر بضغط الرأي العام في جميع أنحاء العالمين العربي والإسلامي، وبالتالي بالنسبة لها من الصعب الجلوس إلى الطاولة مع "إسرائيل" والتخطيط لمشاريع الاندماج الإقليمي وبناء روابط اقتصادية وسياسية في الوقت الذي يرتكب فيه الاحتلال مجازر بغزة.

ولذا شعر بايدن بانتكاسة التقدم الذي أحرزه في مشروع المر الهندي، و<u>اعتبر</u> أن أحد أسباب تحرك حماس ضد الاحتلال الإسرائيلي في 7 أكتوبر، هو إفشال تطبيع السعودية مع "إسرائيلي"، وعرقلة



مشروع المر الهندي الأوروبي، وكذلك ا<u>دعى</u> الرئيس الإسرائيلي أن حماس و"حزب الله" وإيران اتفقوا على تنفيذ مؤامرة لضرب المر الهندي الأوروبي الجديد.

كما ذهب البرلماني الأوروبي السابق وأستاذ قسم مؤسسات الاتحاد الأوروبي بجامعة كريت اليونانية "نوتيس مارياس"، إلى أن هجوم حماس في 7 أكتوبر أعاق خطط إنشاء المر الهندي، وأصبح المشروع "رهينة" بيد حماس على حد تعبيره.

لكن رغم ذلك، وفي هذه اللحظة الحرجة لا تزال أسس المشروع قيد الإنشاء، من غير الرجح أن يتخلى الموقعون عن المر بسهولة، خصوصًا وأن الدعم القوي الذي تقدمه الولايات المتحدة لـ"إسرائيل" جزء منه رسالة بالتزامها تجاه المر.





هذا إضافة إلى أن المالح والدوافع السياسية للبلدان المشاركة في المر الهندي الأوروبي متوافقة بشكل كبير مع المشروع، ولم تتغير خلال أحداث الحرب على غزة، ولا تزال الرغبة في مواصلة المشروع



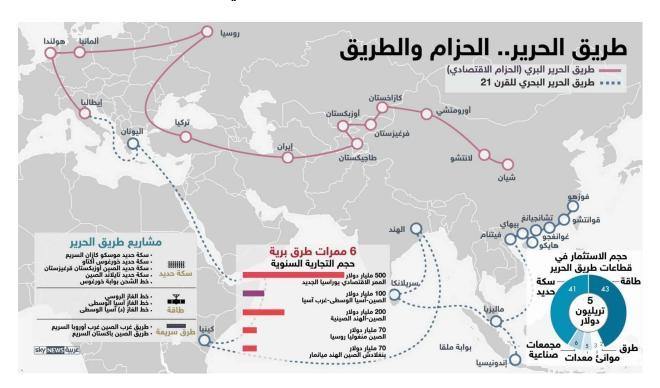
قوية خاصة من جانبي الهند وإدارة بايدن، علمًا بأن الحرب على غزة لم <u>لم تقوض</u> العلاقات الاقتصادية بين الإمارات و"إسرائيل"، وكانت الأولى صريحة جدًا في إدانة حماس لأنها شريكة في المر الهندي.

وكذلك بالنسبة إلى الهند التي خرجت عن السياسة التقليدية التي تنتهجها في القضية الفلسطينية، في نتيجة غضبه من تأثير طوفان الأقصى على مستقبل المر، قام رئيس الوزراء الهندي بإعلان التضامن وتأييد "إسرائيل" في حربها على غزة بشكل غير مسبوق، مصطفًا خلف واشنطن خلافًا لسياسته الحيادية بشأن حرب أوكرانيا، ولسياسية المسافة الفاصلة التي حافظت عليها الهند تاريخًا.

مصالح متقاربة ودوافع مختلفة: أهمية وهدف المر

منذ نحو عشر أعوام، كان صناع القرار في أوروبا والولايات المتحدة يشعرون بالقلق إزاء عزم الصين على المني قدمًا في تمدد مشروعها الحزام والطريق الذي بات جزءً لا يتجزأ من استراتيجية الصين الرئيسية، واستطاعت من خلاله الوصول إلى أميركا اللاتينية وأفريقيا التي ضمت أكبر عدد من مشاريع الحزام والطريق، بجانب السيطرة على بعض المرات البحرية، وتوريط العديد من البلدان النامية بقروض لا تستطيع سدادها.

تميـل الـدول الغربيـة إلى تفسـير مبـادرة الحـزام والطريـق علـى أنهـا تحـدي لكانـة أمريكـا والغـرب، ومحاولة لبناء نظام عالي جديد يُحول مركز السياسة من الأطلسي إلى الصين.





والواقع أن الصين مع محاولة عرقلتها من قبل أمريكا، فقد أبدت تماسكًا ومرونة أكثر مما يعتقده الكثيرون، فحجم مبادرتها التي دخلت عامها العاشر ومدى انتشارها يتجاوز الخيال، إذ بنت كميات هائلة من البنية التحتية لا مثيل لها في العصر الحديث، واستطاعت الاستثمار ببناء أكثر من 40 ميناءً بحريًا في 34 دولة، وعقد اتفاقيات مع 148 دولة، تمثل ثلثي سكان العالم و40% من الناتج المحلي الإجمالي العالم، من بينهم 17 دولة في الشرق الأوسط و 52 دولة في أفريقيا.

وعلى مدى عقد، أنفقت الصين ما يزيد عن تريليون دولار على شكل قروض للدول النامية، وبلغ إجمالي حجم تجارتها مع الدول التي تغطيها مبادرة الحزام والطريق ما يقرب من 13 تريليون دولار. وتدعي الصين أنها بهذا المشروع حققت إنجازات ملموسة في بناء البنية التحتية في البلدان النامية، وخلقت 420 ألف فرصة عمل وانتشلت 40 مليون شخص من الفقر.

في إطار هذه الخلفية، حاول مثلث الهند وأوروبا والولايات المتحدة إنشاء بديل لمبادرة الحزام والطريق التي تهيمن عليها الصين، فجاء تدشين المر الجديد الذي أعلنوا عنه منذ أكثر من شهرين، ومن المؤكد أنه شكل منافسة للصين من جميع النواحي.

يتألف المشروع الجديد من ممرين، الأول: ممر بحري شرقي، ينطلق من الهند ويربط الساحل الغربي للهند بالإمارات، والثاني ممر بري شمالي يتضمن شبكة سكك حديد عابرة للحدود، تبدأ من الإمارات مرورًا بالسعودية وتصل إلى جنوب الأردن حتى "إسرائيل".



ثم ينطلق مسار المر من الأراضي الحتلة بميناء حيفا نحو أوروبا عبر ميناء "بيرايوس اليوناني"، ومنه بعد ذلك إلى إيطاليا وفرنسا وألمانيا، حيث ينتهي مسار المر في الاتحاد الأوروبي. ومن التوقع أيضًا أن يحتوي المشروع مستقبلًا على ممر فرعي نحو أفريقيا بما يتماشى مع أهداف الولايات المتحدة



ويلاحظ أن المر ضم اليونان إلى المشروع، ولم يهمش ويتجاوز أنقرة فحسب، بل سيمر المر عبر الياه المتنازع عليها بين تركيا واليونان، الأمر الذي أثار استياء الرئيس التركي أردوغان، وأبدى اعتراضه بشكل رسمي، قائلًا: "لن يكون ذلك المر دون تركيا، والخط الأكثر ملاءمة لحركة المرور من الشرق إلى الغرب هو الخط العابر من تركيا".

والواقع أن تركيا كانت في مقدمة معارضي المر الجديد، وردت أيضًا بشكل عملي عبر الإسراع بتنفيذ "طريق التنمية" وهو ممر يربط دول الخليج بأوروبا عبر العراق وتركيا.

كذلك تنامت مخاوف طهران بعد الإعلان عن المر الهندي-الأوروبي، ويبدو أن الحرب على غزة خدمت المالح الإيرانية عبر تأجيل مشروع المر الذي رأت فيه طهران طوقًا جديدًا لماصرتها اقتصاديًا ولتقليل دورها مع الهند. ولذا ذهب مساعد قائد الجيش الإيراني إلى أن "طوفان الأقصى ألغت المر الهندي".



من الواضح أن جميع المساركين في المر لديهم دوافع جيوسياسية وحسابات استراتيجية خاصة تدفعهم إلى دعم هذا المسروع، ففي حين تنظر الولايات المتحدة إلى المر من خلال عدسة الالتفاف حول مبادرة الحزام والطريق والتفوق على الصين، وإبقاء دول الخليج قريبة منها وتسريع تطبيع العلاقات بين "إسرائيل" والسعودية، بجانب تعزيز وربط الهند بشكل أقرب مع الغرب باعتبارها قطبًا مضادًا للصين، تنظر الهند في المقابل من خلال عدسة تجاوز إسلام آباد وطهران، وإعادة إحياء الاتصال بالنطقة العربية وأوروبا، خصوصًا وأن تقسيم شبه القارة الهندية عام 1947 أدى إلى تمزيق ممرات الهند التاريخية مع غرب آسيا وأوراسيا.

والآن من خلال المر الجديد، هناك فرصًا استراتيجية كبيرة للهند أبعد من باكستان، مثل تعزيز



علاقاتها السياسية والتجارية مع شبه الجزيرة العربية وأوروبا، بجانب أن المر سيقوي الهند التي لها عدد من القضايا الندية مع الصين، فمن شأنه أن يساعدها في المنافسة الإقليمية لبيجين، الأمر الذي سيرفع من دورها ومكانتها في العالم.

ولا يزال كبار السؤولين الهنود متفائلين بشأن آفاق المر، رغم أن وزير الشؤون الخارجية الهندي "سوبرامانيام جيشانكار" اعتبر أن المر يواجه على الدى الحالي تحدي رئيسي يتمثل في غزة، "الشكلة غير التوقعة" على حد تعبيره.



العلم الهندي بجانب الإسرائيلي في ميناء حيفا

بينما <u>تنظر</u> أبوظبي والرياض إلى المر كوسيلة لتأكيد المكانة والنفوذ، وتعزيز الاستثمار والخدمات اللوجستية، وتنمية وتنويع قاعدة اقتصادهما من النفط نحو مصادر الطاقة التجددة، بجانب الوصول بسهولة إلى الأسواق الأوروبية والهندية.





أما أوروبا، فتنظر للممر من خلال عدسة ترسيخ نفوذها في الحيطين الهندي والهادئ، كما يأمل الأوروبيون توفير ممر بديل للممرات الأخرى بين الشرق والغرب، بما في ذلك الجسور البرية والبحرية التى تشكل جزء من مبادرة الحزام والطريق.

والأهم أن الحرب الروسية – الأوكرانية فرضت على أوروبا البحث عن مصدر طاقة بديل لسحب ورقة الضغط هذه من يد الروس، لذا في حالة تنفيذ المر، فمن شأنه أن يلبي احتياجات الطاقة ويخفف من وطأة المأزق الأوروبي، بجانب تعظيم صادرات واستيراد المنتجات الحيوية بشكل أسرع، وخلق بدائل تجارية أخرى دون الحاجة إلى التجارة مع موسكو.

ويحسب د.كريستيان كوخ مدير البحوث بمركز الخليج، فأحد المحاور الرئيسية لمشروع المر الهندي، ربط منطقة الخليج المنتجة للطاقة بالجانب الأوروبي، وتوفير إمدادات الطاقة دون انقطاع. وما يلفت الانتباه أن في سياق الإعلان عن المر الهندي، أعلنت إيطاليا خروجها من البادرة الصينية، وأبلغت الصين رسميًا بأنها لا تنوى مواصلة المشاركة في مشروع الحزام والطريق.

وفي ظل هذه الخريطة من التفاعلات السياسية والاقتصادية الدولية، تثبت غزة أنها العقبة الرئيسية لأحلام وطموحات هذه القوى، وبإمكانها إلغاء المشروع بأكمله، فلا يبدو أن الحرب على غزة مرتبطة فقط بمصالح ومخاوف الهيمنة الأمريكية، إذ تحولت غزة إلى محطة تتكالب عليها القوى الدولية والإقليمية.

خلاصة الأمر، أن المر الهندي الأوروبي هو أحد أهم العوامل المؤثرة في اتخاذ هذه القوى موقفًا حاسمًا من استمرار الحرب على غزة أو محاولة تحديد مصيرها. وهذا في الحقيقة يثير تساؤلات حول التحولات المحتملة في المشهد العربي في حالة نجح المر، وخصوصًا تأثيره على القضية الفلسطينية. على أنه من المؤكد أن نتيجة الحرب في غزة هي من ستحدد استمرارية المشروع وآفاق



نجاحه مستقبلًا، والذي إلى اللحظة يبدو بعيد المنال وغير قابل للحياة من الناحية الجيوسياسية.

رابط القال : https://www.noonpost.com/173370/